آليات تحليل الخطاب القرآني في ضوء المناهج اللسانية الحديثة
قراءة في بعض إجراءات المنهج التداولي

أ/إيمان جربوعة
جامعة قسنطينة

الملخص:

ظهرت التداولية في الساحة المعرفية المعاصرة إبانّ لحظة تمفصل تاريخي في مسار منظومة الدراسات اللسانية ، إذ شهدت الساحة اللغوية انقلابا مفاهيميا هاما متجاوزة مرحلة ما بعد دي سوسير (du Saussure)، ولم يعد المشتغلون في الحقل اللساني مقيدين منهجيا ومعرفيا بالأطر البنيوية التقليدية ،ولا حتى الطروحات التوليدية التحويلية ، وانفتحوا على عوالم معرفية مستحدثة في الإجراءات اللسانية الحديثة ، حيث تجاوزت اللسانيات التداولية هذه الدراسات واهتمت باللغة أثناء الاستعمال ، ولعلّ هذا ما جعلها أكثر دقة وضبطا ؛ حيث ركّزت على البعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام وأخذت بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي وأحوال المتحدثين ونواياهم ومقاصدهم ، ومكونات السياق الذي أنجز فيه الخطاب ككل فالسياق عمدة التفسير، وذلك بالكشف عن قيمة القول خارج العالم اللساني ، بمعنى البحث عن البعد العملي للقول وذلك ضمن نظرية الأفعال الكلامية إلى جانب نظرية الحجاج .

والخطاب القرآني بوصفه خطابا لفظيا متعاليا يمتلك فضاء داخليا ذو مقومات وأسس تتمثل في حركة الحوار بين أصناف شتى من المتخاطبين ، فقد احتوى على كثير من الأفعال الكلامية التي أنجزتها هذه الشخصيات على اختلافها سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، إضافة إلى أن الخصوصية الجوهرية (الاستمالة ـ التأثير ـ الإقناع) التي توافرت في القرآن جعلت منه خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى ، ولذلك استعان القرآن بجملة من الأساليب الحجاجية التي تُؤمِّن له هذه الغاية ، كالآليات اللغوية والبلاغية ،ذلك أنها تنصهر فيما بينها لتحقيق الهدف المقصود وهو تحقيق استمالة في المتلقي والتأثير فيه.

وفي هذه المداخلة سنحاول التنقيب عن بعض الآليات التداولية التي تتجسد في هذا الخطاب القرآني وسنركز اهتمامنا على آليتين هما نظريتا أفعال الكلام والحجاج وجوانب تحليلها ضمن إشكالية فحواها:

ـــ هل يستجيب الخطاب القرآني لإجراءات التحليل التداولية ؟

ــ إلى أي مدى يمكن استثمار نظرية الأفعال الكلامية في الكشف عن الآليات التعبيرية المستعملة في القرآن للكشف عن القوى الإنجازية الحرفية والمستلزمة لهذا الخطاب ؟

ــ كيف يكن تطبيق آليات الحجاج كما جاءت عند الغربيين في الخطاب القرآني وما مدى تجسدها فيه ؟

أضحت اللسانيات من أهم الاتجاهات اللسانية في منظومة البحث اللغوي المعاصر ، إذ بعدما كانت أبحاث هذه الأخيرة تقتصر على الجانبين البنيوي والتوليدي ؛ فتهتم بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية (جانب بنيوي) مع رائد اللسانيات الحديثة " فردينان دي سوسير " الذي أولى عنايته للبحث في اللغة دون الكلام أو الأداء ، أو وصف وتفسير النظام اللغوي ودراسة الملكة اللسانية المتحكمة فيه (جانب توليدي) بزعامة " تشومسكي" ، جاءت اللسانيات التداولية لتتجاوز هذه الدراسات وتهتم باللغة أثناء الاستعمال ولعل هذا ما جعلها أكثر دقة وضبطا ؛ حيث ركزت على البعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام وأخذت بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي وأحوال المتحدثين ونواياهم ومقاصدهم ، ومكونات السياق الذي أنجز فيه الخطاب ككل .

وقد تعددت تعاريف التداولية وتنوعت ولعل أوجز تعريف لها هو" دراسة اللغة في الاستعمال une use أو في التواصل in interaction "[1] وهي بذلك تروم تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب عن طريق التركيز على الوقائع الكلامية ذاتها والعمليات الاستنتاجية الملازمة لعملية التخاطب.ومن أهم نظرياتها أفعال الكلام والحجاج.

<u>أولا : نظرية أفعال الكلام:</u>

تقع نظرية أفعال الكلام في موقع متميز من المنهج التداولي في تصورات اللسانيين المعاصرين وتشكّل جزءاً أساسياً من بنية النظرية بحسب العلماء الغربيين المؤسسين للتداولية ، فقد أضحت نواة مركزية لكثير من البحوث التداولية . ونشأت فكرة الأفعال الكلامية من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة وهو أن « الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه » [2].

وتأتي أهمية هذه النظرية في كونها غيرت النظرة التقليدية للكلام ، ونظرت إلى اللغة في بعدها الديناميكي باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه ؛ بعد أن ألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل ، إذ أنّها تعدّ من أفضل النظريات تمثل اللسانيات التداولية وتشكل النواة المركزية لها ؛ ذلك أنها تجسد الجانب

---

[1] ـ محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2006، ص 12

[2] ـ فان ديك: علم النص ص18

المادي لها؛ فهي توجّه عنايتها بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة أثناء العملية التواصلية من تبليغ وإنجاز وتأثير ، حيث إنها تنظر إلى اللغة بِعدِّها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه.

ويُعرّف الفعل الكلامي بأنه : "التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ، ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ، ومن أمثلته الأمر والنهي والوعد والسؤال...فهذه كلها أفعال كلامية " [1]

فالفعل الكلامي من هذا المنطلق هو إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به ،حيث إن نظرية الأفعال الكلامية لا تتعامل مع اللغة على أنها أنساق صورية أو شكلية بل بعدها أنساقا لا يمكن تحديد خصائصها إلا بربطها بظروف الإنتاج اللغوي.

والحديث عن نظرية الأفعال الكلامية يقودنا مباشرة إلى الحديث عن الفيلسوف الإنجليزي أوستين (Austin) الذي يعد من الأوائل الذين تطرقوا إلى هذا المفهوم ، وحددوا معالمه واتجاهاته في كتابه الموسوم بـ: "كيف نفعل الأشياء بالكلمات" حيث أوصى بمراعاة الجانب الاستعمالي طبقا لمقامات التخاطب بقوله : " موضوع الدراسة ليس الجملة وإنما إنتاج التلفظ في مقام خطاب "[2]

بدأ أوستين أطروحته بمعارضة ما جاء به فلاسفة اللغة الوضعيين الذين اعتدوا بالأقوال الوصفية (الخبرية)، وجعلوها الجمل الأساس التي تستحق الدراسة والتحليل في مقابل إهمالهم الجمل غير الوصفية (الإنشائية أو الذاتية) التي عدوها من قبيل الجمل التي لا معنى لها لأنها لا تطابق أو تخالف واقعا خارجيا. وخلافا لهذا الطرح ارتأى أن يقسم الكلام إلى قسمين: [3]

ـ قسم تقريري : مجاله الخبر الذي يحتمل قيمتي الصدق والكذب .

---

[1] ـ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1 ، 2005 ص 10.

[2] 143 ـ J.L .Austin :Quand dire c'est faire ,introduction de G. Laue, Éd du Seuil , Paris , 1970 p 1

[3] ـ Austin :Quand dire c'est faire p 78 : Voir

ـ قسم إنشائي : ينجز به المتكلم عملا ، ولا يقتصر على مجرد الكلام به ، ومن شروط نجاحه توافر عناصر الإرادة والقصد والقدرة وحسن النية ونحوهن، من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الأفعال الكلامية المنجزة.

ثم لاحظ في فترة لاحقة أن الأخبار موصولة العرى بالعناصر المقامية ، شأنها في ذلك شأن الإنشاءات مما يجعل الفروق بين القسمين السابقين من الضحالة بمكان ، فما لبث أن تخلى عن هذا التمييز إذ لا يمكن أن نميز بين ما هو وصف وما هو إنجاز لأن جميع الجمل اللغوية قول وفعل في الوقت ذاته وبالتالي يمكن توحيدهما واختزالهما في صنف واحد ، مستدلا على ذلك بـ " أن الجمل المصنفة على أساس أنها وصفية هي في الواقع جمل إنجازية ، يقوم فيها المتخاطبون بفعل شيء ، زيادة عن فعل التلفظ أو القول "[1]

وحري بالبيان أن الهاجس الذي كان يشغل أوستين هو الإجابة عن السؤال : ماذا نفعل عندما نتكلم ؟ ومن هنا ألفى أن ما نتلفظ به يتجلى في ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لأي فعل كلامي تختزل مختلف الوظائف اللسانية على النحو الآتي :[2]

1 ـ فعل القول : l'acte locutoire ويراد به تركيب الألفاظ في جمل مفيدة طبقا للأفعال الفرعية ثلاثة هي : الفعل الصوتي ، الفعل التركيبي : الفعل الدلالي .

2 ـ فعل الإنجاز : Acte illocutoire وهو ما يتصل بالجانب المقامي للجملة ، الذي يواكب فعل القول بفروعه الثلاثة ، ليربطها بقصد المتخاطبين وأغراضهم من مقول الجملة ، كأن يكون القصد منها الإخبار أو السؤال أو الأمر أو الوعد أو الوعيد ... وغير ذلك من الأغراض التبليغية التي ينوي المشاركون في عملية التبليغ تبادلها فيما بينها .

3 ـ فعل التأثير Acte perlocutoire وهو الأثر الذي يخلفه فعل القول أو الإنجاز على المخاطب ، وهو ما يظهر عادة في رد فعله ، كأن ينفعل بالقول فينزعج أو يغضب أو يمتثل له فيفرح أو يستبشر ... لذا يختص هذا الفعل بالمخاطب .

---

[1] ـ يحي بعيطيش : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، أطروحة دكتوراه دولة 2004-2005 ص 128

[2] ـ Voir Austin :Quand dire c'est faire du p101-108

ثم جاء بعده تلميذه سيرل (Searl) فتلقف حصيلة أستاذه وحاول سد الثغرات التي تركها والإجابة عن بعض الأسئلة التي ظلت عالقة في كتاب أستاذه ، وسعى سعيا لإكسابها نضجا وضبطا منهجيا ومن ثم صياغتها في نظرية محكمة ، ومن جملة ما أضافه ما يأتي: [1]

1- تعديله التقسيم الذي ورثه عن أستاذه للأفعال الكلامية ، لتستحيل أربعة بتقسيمه فعل الكلام إلى فعل التلفظ وهو يضم كلا من الفعل الصوتي والتركيبي عند أوستين ، وفعل القضوي وهو ما يعادل الفعل الدلالي الذي كان جزءا من فعل القول في تصور أستاذه ، إلا أنه عند سيرل يشكل فعلا مستقلا عنه ، وفعل الإنجاز وفعل التأثير وهما عنده تماما كما طرحهما أوستين.

2 – نصُّه على أن القوة الإنجازية دليلا يدعى دليل القوة الإنجازية ، الغرض منه إظهار نوع الفعل الكلامي الذي يؤديه المتكلم عند نطقه الجملة .

3. نظرته للفعل الكلامي بأنه لا يحدده المتكلم وحده،بل لابد من تظافر العرف اللغوي والاجتماعي أيضا.

4 - تقسيمه للفعل الكلامي بالنظر إلى قوه الإنجازية إلى :

<u>أ – الفعل الكلامي المباشر:</u> وتتمثل في تلك الأقوال التي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول ، فالقول في نظر سيرل هو شكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه مجموعة من القواعد ، ويعرف سيرل الأفعال المباشرة بقوله : "هي الحالات أين يكمن للمتكلم التلفظ بقول ما ويراد منه ما صرح به " [2] **.**

<u>ب ـ الفعل الكلامي غير المباشر :</u> ويعرفها بقوله " هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفا تماما وبطرق وكيفيات مختلفة " [3] **أي أنها عبارة عن أقوال لا تطابق قوتها الإنجازية مقصود المتكلم ويستدل عليها من السياق .**

---

[1] ـ محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 47..51

[2] -Searl : Sens et expression ,études de théorie des actes de langage,ed ,Minuit, Paris 1982 p 71

[3] Ibid p 71

هذه لمحة موجزة عن نظرية الأفعال الكلامية كما تمثّلها منظروها الأوائل في الدرس الغربي الحديث، ومع إقرارنا بحداثة نشأة هذه النظرية إلا أن لها جذورا في تراثنا العربي القديم :

- إرهاصات نظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:

إن الذي ينعم النظر في موضوع التداولية ولا يأسره لفظها بالرغم من حداثته ، لا يعدم لها أثرا في التراث العربي ؛ فقد التفت القدامى على اختلاف توجهاتهم إلى موضوع التداولية ، وهذا الالتفات نابع من اهتمامهم بالمخاطب والمخاطب والمقام الذي يجري فيه الحدث الكلامي ، والعناية الفائقة بمقاصد التواصل عموما .

وتندرج هذه النظرية ضمن مباحث علم المعاني ـ الذي هو جزء أساس في البلاغة العربية ــ لأن هذا الأخير يهتم بمقولات من قبيل مقولة الإفادة ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال- حال السامع -، والمعنى السابق إلى الفهم أثناء العملية التواصلية والقواعد التي تحكم عملية الانتقال من الأغراض الأصلية إلى الأغراض الفرعية ، ويتجلى ذاك خاصة في الظاهرة الأسلوبية الموسومة بـ "الخبر والإنشاء" فــ" هي ثنائية محورية في النظرية الدلالية التراثية ... تتمركز على مفهوم الأعمال اللغوية"[1] ، حيث اهتم بدراسة هذه الظاهرة رهط من الباحثين في عديد المجالات ؛ فقد تدارسها عدد من الفقهاء والأصوليين نحو: ابن رشد القرطبي وفخر الدين الرازي ...وعنوا بدراسة الأسلوب الخبري والإنشائي معا ووظفوا ثنائية (معنى حقيقي / معنى مجازي) لرصد تعدد الأغراض الكلامية بالنسبة للعبارة اللغوية الواحدة ، بغية دراسة المعاني الوظيفية للقول وتحديد المقامات التي ترد فيها تلك المعاني بغرض فهم النص القرآني ، كما انفرد الفلاسفة من أمثال أبو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا ... وغيرهم بدراسة التراكيب الخبرية بعد أن ميزوها عن الإنشاء وميزوا حدود كل منهما .

أما البلاغيون فقد كانوا أبرز من تناولها وفق المفهوم التداولي من خلال دراستهم أيضا لظاهرة "الخبر والإنشاء" ، والتي مرت عندهم بمراحل انتقلت فيها من آراء وملاحظات متفرقة إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسسة بعد أن خضعت مصطلحاتها لبحوث مستفيضة وآراء مختلفة ليستقر في الأخير جهازها

---

[1] ـ خالد ميلاد : الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة ،جامعة منوبة ، ط1 ، 2001 ص 30.

المصطلحي والمفاهيمي فبدت عندهم جل المفاهيم التداولية واضحة المعالم بينة القسمات.

فإذا رمنا مثلا التنقيب عن الأفعال الكلامية غير المباشرة باصطلاح سيرل نجد "أبا يعقوب السكاكي" خير من دقق مسألة كيفية الانتقال من المعاني الأول إلى المعاني الثواني ، ولا سيما حينما شرع في تنميط الإنشاء الطلبي إلى خمسة أصول : التمني والاستفهام ، والأمر والنهي والنداء . ويتفرع عن هذا الأنواع نفسها أغراض تتولد في حال لإجراء الكلام على خلاف ما يقتضي المقام ليس لها تمثيل في خصائص البنية أي غير مدركة مقاليا ، يقول السكاكي : " والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان : الخبر والطلب المنحصر في الأبواب الخمسة ... وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل "[1] ويقول في موضع آخر : " متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد مها ما ناسب المقام " [2] فهذه عبارة تداولية بامتياز ؛ فامتناع إجراء هذه الأبواب على الأصل أي أن الفعل الكلامي خرج إلى قوة إنجازية غير مباشرة ليست على أصله الذي وضع له تستخلص من مقامه .

وهو بذلك يحرز تقدما منقطع النظير في مجال الدراسة التداولية ويشير إلى ذلك أحمد المتوكل :" وتتميز اقتراحات السكاكي عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة ، بأن تجاوز الملاحظة الصرفة ، وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميا، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة " [3] .

وإذا بحثنا عن تفطنهم لأهمية السياق في تحديد معنى الفعل الكلامي فهو كثير مترامي الأطراف عند ثلة كبيرة من الباحثين العرب ، نورد منها على ـ سبيل المثال لا الحصر ـ ما أورده السكاكي كذلك - بعده كما سبق رائدا حقيقيا في هذا المجال - " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام

---

[1] ـ أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000، ص 164

[2] ـ المرجع نفسه ص 304

[3] ـ أحمد المتوكل : اقتراحات في الفكر اللغوي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي : البحث اللساني السيميائي، الرباط 1981 ص 121

الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يباين مقام الكلام على الإنكار ، جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر "[4] فإذا كان الخبر لا يعدو أن يكون ما يحتمل فيه الصدق والكذب ، فإن له استعمالات متباينة لتباين مقامات وروده ، فمن المقامات ما يقتضي إطلاق الحكم ، ومنها ما يقتضي تأكيده ، ومنها ما يتطلب الإيجاز أو الإطناب والأمر نفسه بالنسبة للطلب.

ثانيا : أفعال الكلام في الخطاب القرآني :

كما جاء سابقا فإن هذه النظرية يمكن إجراؤها وتطبيقها في النصوص العربية من زاوية الخبر والإنشاء ومنها الخطاب القرآني بعدِّه خطابا بما توافر فيه من عناصر السياق من متكلم تكاد تطابق وخروجهما إلى أغراض فرعية تستنتج من خلال السياق ، فالخطاب القرآني يعج بأمثلة كثيرة عن الأساليب الإنشائية والخبرية وانزياحها إلى معان غير مباشرة ـ أفعال الكلامية غير مباشرة باصطلاح سيرل ـ .

أ ـ الأفعال الكلامية المنبثقة عن الملفوظات الخبرية :

الخبر هو" كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته...والمراد بالصدق مطابقته للواقع ونفس الأمر والمراد بالكذب عدم مطابقته للواقع "[1] ويكون الخبر فعلا كلاميا مباشرا متى ما استخدم استخدامه الأصلي، حيث يكون الجانب الإنجازي الأبرز فيه هو التقرير ، فمتى عبرت عن معاني مغايرة خرجت من قوتها الإنجازية المدركة بنيويا إلى قوة إنجازية تستشف من ملابسات الخطاب وسياقه. ومما جاء على هذا المنوال في الخطاب القرآني قوله تعالى:" وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا(30)" يوسف

هذه الآية حقل تلفظي آخر يتضمن ملفوظا تقريريا خبريا ، حيث إن النسوة يقرن بما سمعنه عن امرأة العزيز ، فهن ينقلن الخبر كما هو دون زيادة أو نقصان فقانون الإخبارية متحقق إذن ، مادام أن الكلام صحيح يجمع بين طرفي

---

[4] ـ السكاكي : مفتاح العلوم ص 265

[1] ـ السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار ابن خلدون ، الاسكندرية ، مصر ،د.ت ص 45

العملية التواصلية " الباث والمتلقي"، هذا ما يلاحظ من البنية العامة السطحية لقراءة لقول ، لكن إذا تمعنّا في قولهن نجد أنهن لا يقصدن نقل الخبر فحسب ، وإنما يرمين إلى غرض دفين ومعنى متضمن في القول وهو الإنكار واللوم أي أنهن يقصدن " الإنكار عليها في أنفسهن ولومها على صنيعها "[2].

ومثال عنه سورة الممتحنة الآية04.

حيث إنّ الملفوظ تقريري وصفي قوته الإنجازية المباشرة هي الإخبار المستفاد من صيغة الجملة ؛ أي إخبار بتوكل واعتماد الخليل إبراهيم ﵇ وأصحابه على الله وحده في جميع الأمور وإبراز خضوعهم ، إلا أن السياق يستشف منه قوة إنجازية غير مباشرة مستلزمة تتمثل في الدعاء ، فهو دعاء وتضرع إلى الخالق وتسليم له، وإنابة إليه في كل الأمور.

ويمكن التمثيل لهذا الملفوظ بالمشجّر الآتي :

ب ـ الأفعال الكلامية المنبثقة عن الملفوظات الإنشائية :

ـ الأفعال الكلامية المنبثقة عن الاستفهام :

الاستفهام هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل أدواته هي الهمزة ، هل ، من ، ما ، متى ، أيان ، كيف ، أين ، أنى ، كم ، أي ، وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام هي :[1]

ـ ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو: الهمزة .

ـ ما يطلب به التصديق فقط وهو " هل "

ـ ما يطلب به التصور فقط وهو بقية ألفاظ الاستفهام .

والاستفهام في الدراسات التداولية يدل على[2] قوة إنجازية نوعية – داخل جنس الطلب – طلب الفهم، وتشمل داخلها قوتين إنجازيتين فرعيتين ، حيث يعد تحقيق كل منهما تحقيقا في الوقت ذاته لقوة طلب الفهم وهاتان القوتان

---

[2] ـ محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1984 ، ج 12 ص 261

[1] ـ السيد أحمد هاشمي : جواهر البلاغة ص 71

[2] ـ ليلى كادة : المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم ص285

الفرعيتان هما: طلب التصور وطلب التصديق ، فيطلب بالهمزة التصور والتصديق في حين يطلب التصديق فقط بـ(هل) .

وفيما يأتي سنتناول بعض نموذجا استفهاميا قرآنيا ونروم التنقيب عن القوى الإنجازية الحرفية والقوى المستلزمة فيه : يقول تعالى : " قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون" يوسف:11

تصوّر هذه الآية موقفا تواصليا بين إخوة يوسف وأبيهم سيدنا يعقوب - عليه السلام - وهم بصدد إقناعه والتأثير عليه بشتّى الطرق لأخذ بنيامين معهم إلى مصر بعد أن استشعروا رفضه لطلبهم هذا، فلجأوا إلى التنويع في صيغ الخطاب عن طريق الاستفهام غير المباشر بالملفوظ (مالك لا تأمنا) الذي يحمل في طياته قوة إنجازية غير مباشرة وهي الاستعطاف ، الأمر الذي جعل الاستفهام رفيقا لينا ، فقد ورد في صيغة السؤال عن العلة ، فكأنهم يتيحون الفرصة لأبيهم يجيب فيها ويبين عذره في هذا الرأي حتى يتسنى له إجابتهم عن امتناعه ورفضه .

من نماذج الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأمــر :

ومن ذلك قوله تعالى : " ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين (59)، فإن لم تأتوني فلا كيل لكم ولا تقربون(60) "يوسف

في هذه الآية قوة إنجازية حرفية مستقاة من القرائن والمعينات البِنيوية التي تأسهمفي تماسك واتساق النص وكذا إنجاح العملية التواصلية بين الباث والمتلقي ، فمتى سمعها السامع وجب عليه تنفيذها لأنَّ الخطاب موجه من السلطة العليا، وهذا ما تجسّد في صيغة فعل الأمر "ائتوني" حيث يأمر سيدنا يوسف إخوته- الذين قدِموا إلى مصر بعد أن حلّ ببلادهم القحط وجفت أراضيهم ليتزودوا بالطعام- بإحضار أخيهم "بنيامين" معهم ، إلا أن السياق يظهر أن يوسف يُضمِّن أمره قوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في التهديد، فقد هدَّد يوسف عليه السلام إخوته المنكرين له بحرمانهم القوت إن لم يصحبوا أخاهم معهم ، وذلك شوقا لرؤيته، إذ هو من أحب إخوته له، وقد أفلح المرسل في إيصال الرسالة إلى المتلقين ولما ساوق كلامه مقتضى حالهم أذعنوا له ومضوا في تنفيذه وتحقيقه.

ومن نماذج أفعال الكلام المنبثقة عن النهي قوله تعالى:"قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين(05)"

في هذا الملفوظ قوة إنجازية حرفية مدركة مقاليا (لا الناهية + الفعل المضارع) وهي النهي فبنيتها السطحية تشير إلى أن سيدنا يعقوب - عليه

السلام – ينهى ابنه يوسف عن اطلاع إخوته على رؤياه ، بيد أن السياق الآية يستقى منه أن (المخاطب هنا) يضمّن نهيه معنى غير مباشر أي قوة إنجازية متضمنة في القول - حسب اصطلاح " سيرل " - وهي التحذير، كما يقول الطاهر بن عاشور شارحا هذه الآية : " وقول يعقوب ﷺ هذا لابنه تحذير له مع ثقته بأن التحذير لا يثير في نفسه كراهة إخوته لأنه وثق منه بكمال العقل وصفاء السريرة "[1]. وعليه يكون غرض المرسل هنا هو إذعان في المتلقي - ابنه يوسف - التأثير فيه وتحذيره من العواقب الوخيمة التي تنجر عن تصريحه لرؤياه ، بعد أن أيقن أن تصريحا مثل هذا سيثير الغيرة وويؤجج نار الحسد في نفوس أبنائه اتجاه أحب أبنائه لديه .

ثالثا الحجاج :

1 – مفهوم الحجاج :

تدور معاني الجذر اللغوي لمادة (ح ج ج) حول المجادلة والجدال يقول ابن منظور: "الحجة هي البرهان ، وقيل الحجة هي ما دوفع به الخصم ، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة ، وهو رجل محجاج أي جدل ، والتحاج : التخاصم ، ... ، وحجّه يحجه حجا غلبه حجته وفي الحديث ، فحج آدم موسى أي غلبه بالحجج [2] فأساس الحجاج هاهنا هو التركيز على دليل لإثبات قضية معينة ، أو بناء موقف من المواقف المعينة.

أما الحجاج في الاصطلاح فهو : " علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة" [3] فالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب،بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها بمثابة النتائج التي تستخلص منها.

---

[1] ـ محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ج 12 ص 214

[2] ـ ابن منظور : لسان العرب ، مادة (حجج) ، دار صادر بيروت ، مج 2 ، ط 1997 ، ص 28

[3] ـ شكري المبخوت :نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمودي صمود، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، 1992 م، ص162.

وليس الحجاج مقصورا على مناقشات أو الحوارات كما قد يتّبادر إلى ذهن بعض الناس ، بل هو .يشمل كل قول يهدف إلى الإقناع بما في ذلك النصوص التعليمية والتوجيهية .

2- نظرية الحجاج عند بيرلمان :(Ch.Perelman) :

تعدُّ نظرية الحجاج التي طوَّرها بيرلمان(Ch.Perelman) وتيتيكاه (O.Tyteca) من أهم النظريات التي اهتمت بالحجاج ؛ حيث يهدف الباحثان إلى تحقيق الاقتناع والتسليم أو زيادته من خلال ما يعرض من أطروحات وأفكار.

وقد طرحا نظريتهما هذه وفصلا فيها القول في مؤلفهما الموسوم ب"دراسة الحجاج " (Traité de L'argumentation).

وقد اهتم الباحثان بيرلمان وتيتكاه في هذا المصنف " بأساليب إجراء اللغة ، وتنويعات الخطاب ومقوِّماته، وطبائع الناس المعنيين بكل تلفُّظ معين " (1)

ويتميَّز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية : (2)

1–أن يتوجَّه إلى مستمع.

2–أن يعبَّر عنه بلغة طبيعية.

3–مسلَّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4–لا يفتقر تقدُّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5–ليست نتائجه ملزمة.

3- الحجاج عند ديكرو (Oswald Ducrot): وضع أسس هذه النظرية اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو(1973) ، وتختلف نظرتها للحجاج عن نظرة النظريات الأخرى حيث تمثِّل تيارا تداوليا متميِّزا يهتم بدراسة " استعمال الجملة في المقام، من جهة والسعي إلى سبر كل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى "3 لهذا سمِّيت بالتداولية المدمجة، أي تدمج الجزء التداولي في الدلالة.

وفحوى هذه النظرية أنها لسانية بحتة وأن " الحجاج فعالية تداولية جدلية " ؛ أي أنها " تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلِّم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكِّنه من تحقيق بعض

الأهداف الحجاجية ، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤدَّاها : إننا نتكلَّم عامة بقصد التأثير " 4

1 – محمد سالم محمد أمين الطلبة : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتظوره في البلاغة المعاصرة : مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته ؛ دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة إعداد حافظ علوي ج 2 ، ص 182

2 - ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، المرجع نفسه ص182

3 ـ شكري المبخوت : مقال ضمن مؤلف أهم نظريات الحجاج ، في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود ص351

4 ـ أبو بكر العزّاوي :الحجاج في اللغة : مقال ضمن مؤلَّف الحجاج مفهومه ومجالاته ؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، الجزء الأول : الحجاج حدود وتعريفات ص 56

ويسِمُ ديكرو الحجاج بأنه ": أن يقدِّم المتكلِّم قولا ق 1 (أو مجموعة من الأقوال موجَّهة إلى جعل المخاطَب يقبل قولا آخر(ق 2)أو(مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان(ق 2)صريحا أم ضمنيا، وهذا الحمل على قبول (ق 2)على أنه نتيجة للحجَّة ق 1 يسمى عمل محاجَّة " [1] وتحدَّد التسلسلات الخطابية بواسطة الوقائع بنية الأقوال، المواد اللغوية الموظَّفة في الخطاب الحجاجي ، وقد وضع ديكرو جملة من الآليات اللغوية لتحليل الخطاب الحجاجي منها .

[1] ـ شكري المبخوت " :تحليل حجاجي لظاهرة بديعية" مقال ضمن مؤلَّف الحجاج مفهومه ومجالاته ؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي ، ج4 : الحجاج والمراس ص 148

ويعدّ النص القرآني من أهم النصوص التي تحفل بالحجاج ، وقد صار الحجاج فرعاً علمياً يحتوي لغوي أو بلاغي ...و هذا الأخير الذي سيكون محط اهتمامنا في هذا القسم من هذه المداخلة :

رابعا ـ الحجاج في الخطاب القرآني :

إن الخطاب القرآني خطاب حجاجي بامتياز ؛ ذلك أن القرآن كلام موجه للجميع تفهمه العامة بما هو عليه كما تفهمه الخاصة بما تتواصل إليه من العمق في الفهم لأن « طباع الناس متفاضلة في التصديق ، فمنهم من يصدق بالبرهان ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية » [1] .

يذهب "الزركشي" الذي اصطنع البرهان للتعريف بعلوم القرآن إلى أن القرآن قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة والحجج « وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلاَّ وكتاب الله قد نطق به » [2] .

فهو في أكثر من موضع يؤكّد على دور الحجة في الإقناع وبطرق مختلفة ، أي بحسب قدرات الناس العقلية والعاطفية ، فمنهم من يقتنع بالفكرة عن طريق استهواء العاطفة وإيقاظ الشعور فيهتدي إلى المعرفة وإلى الحكم عن طريق تأمّل باطني في الحجج ، ومنهم من لا يذعن لغير البرهان المباشر ويستخدم الاستدلال المنطقي كالقياس والتّمثيل والاستقراء .

والمتتبع لآي الذكر الحكيم يجد ظاهرة " الحجاج" بارزة بقوة في كل القضايا التي يطرحها ، وكأنه مبني عليها من ألفه إلى يائه ، حيث يُلفيه يوظِّف الحجج بشتى أنواعها سواء كانت لغوية أسلوبية ، أو بلاغية ، أو منطقية أو غير ذلك، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثّل في وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد ، ويقدّم الحجج المدعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضد ما يعتقده الكفار وما يقدمونه من حجج واهية لا أساس لها من الصحة ، ويرجع التأكيد على الصفة الحجاجية للقرآن إلى كون « المتقبلين لهذا الخطاب كثرا ، وهم من مستويات

---

[1] ـ ينظر آمنة بلعلى : الإقناع المنهج الأمثل للحوار والتواصل نماذج من القرآن والحديث ، مجلة التراث العربي، ع 89، السنة الثالثة والعشرون ، آذار ــ مارس ، 2003 ، دمشق ص 04

[2] ـ الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، دار التراث ، القاهرة، ص 34

مختلفة ، وكذلك الرافضون له والعازفون عنه لهم في غالب الأحيان حججهم رغم ضعفها ، وهذه سمة أيضا من سمات الخطاب الحجاجي »[1]

وقد التفت علماؤنا القدامى إلى ذلك وأشاروا إليه في غير موضوع من دراساتهم وكتاباتهم ، يقول "السيوطي" : « وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ، تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به »[2]،و يضيف قائلا : « فأخرج الله تعالى مخاطباته في محاجّة خلقه في أجلى صورة ؛ ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائهما ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء ».[3]

ويعتمد الحجاج عند الغربيين على آيات شتى منها الآليات اللغوية والتي تتمثل أساسا في الروابط والعوامل الحجاجية والآليات البلاغية كحجاجية الصور البيانية والبديعية ومساهمتها في إقناع المتلقي وفيما سيأتي سنحلل بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر.

الآليات اللغوية للحجاج في الخطاب القرآني :

في كلّ نص حجاجي تعدّ الوسائل أو الآليات اللغوية هي سداه ولحمته ، إذ تعتبر اللغة في الحجاج وسيلة لفرض سلطة على الآخرين من نوع استدراجهم إلى الدعوى المعبَّر عنها وإقناعهم بمصداقيتها . وسنقتصر في هذا المقام على استكشاف الوسائل اللغوية ذات الصلة الوثقى بالإقناع في نماذج من القرآن

أ ـ الروابط الحجاجية: الروابط هي المؤشر الأساسي والبارز والدليل القاطع على أن الحجاج مؤشّر له في بنية اللغة نفسها ، إضافة إلى إسهامها في انسجام الخطاب وتماسكه ، فهي تصل بين ملفوظين
أو أكثر جرى سوقهما في إطار إستراتيجية واحدة ، وقد حفل النص القرآني بمثل هذه الروابط كتوظيف الرابط الحجاجي " لكن " في قوله تعالى :

[1] ـ الحواس مسعودي : البنية الحجاجة في القرآن ، مجلة اللغة والأدب ، ع12 ، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر ، الجزائر، ديسمبر، 1997 ص 333

[2] ـ السيوطي (الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر): معترك الأقران ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 1988 ص 346

[3] ـ المرجع نفسه الصفحة نفسها .

ـــ لكن : تعد لكن من الروابط الحجاجية التداولية التي لقيت اهتماما كبيرا لاسيما عند أنكسومبر وديكرو وبيرلمان، فهي رابط حجاجي قوي باعتبارها تسمح للمحاج بتقديم المعلومات على أساس أنها حجج " (1)

وفيما يأتي تحليل لملفوظ من سورة يوسف يتضمن الرابط الحجاجي " لكن " وبيان المسار الحجاجي له : - يقول تعالى : " وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " يوسف / 21

ورد هذا الملفوظ في سياق يحكي فيه الباث عز وجل مصير يوسف بعد أن ألقاه إخوته في الجب وانتشاله من طرف الوارد ، الذي باعه لعزيز مصر والذي أكرم يوسف وأعزه ، وقد جاء الرابط الحجاجي " لكن" يؤدي تعارضا حجاجيا بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه ؛ فالقسيم الأول من الآية (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) يتضمن حجة تخدم نتيجة من قبيل " سيمتثل الناس لأوامر الله ونواهيه) أو (سيطيعونه ويتقونه) فمن سعى إلى عمل يخالف ما أراده الله تعالى فسيغلب وينقلب خائبا ؛ لأن إرادة الله فوق الجميع والله متمم ما قدّره ، والقسيم الثاني من الآية " أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " يتضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة : "لا ــ ن " ، أي تخدم نتيجة من قبيل : " الناس غافلون" أو " لن يطيعوا ربهم ولن يتقوه " وهنا تكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى ، فإنها القول بمجمله سيؤول نحو النتيجة المضادة ، وهي النتيجة التي جاءت بعد الرابط " لكن" أي (الناس غافلون جاهلون)

ب ـ العوامل الحجاجية :

هي نوع من المؤشّرات اللغوية يسهم في إقناع المتلقي وهو العوامل الحجاجية ؛ هذه الأخيرة توسم بأنها
هي نوع من الأدوات اللغوية " تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما ، وتضم

1 - الحواس مسعودي : البنية الحجاجية في سورة النمل ، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد 12 ،ديسمبر، 1997 ص 25

مقولة العوامل أدوات من قبيل : ربما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، ما ...إلا وجلّ أدوات القصر" [1]

- **ما .... إلا :**

هو عامل "يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض "[2] **، وهذا المرسِل عادة لإقناع المرسَل إليه بفعل شيء ما ، فهو من طرق القصر في اللغة العربية الذي يمثل صورة من صور التراكيب التي غايتها الإثبات المشوب بالتخصيص ، كأن يخصص صفة معينة بموصوف معين.**

وفيما يأتي تحليل لنموذج من هذا العامل في الخطاب القرآني :

يقول تعالى:"مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف : 40

ورد هذا الملفوظ في سياق تأويل يوسف لرؤيا صاحبيه في السجن، حيث قبل تفسير منامهما أراد يوسف دعوتهما لدين الحق ، وهو يندرج في حال المخاطب الذي يُنكر ما يلقى إليه .

ونلاحظ أن العامل الحجاجي المدرج في هذا الملفوظ هو " ما ... إلا " ، والمراد بالقصر هنا : " ومعنى قصرها على أنها أسماء قصرا إضافيا ، أنها أسماء لا مسميات لها ، فليس لها في الوجود إلا أسماؤها ... وجملة إن الحكم إلا لله إبطال لجميع التصرفات المزعومة لآلهتهم بأنها لا حكم لها فيما زعموا أنه من حكمها وتصرفها " [3] **وقد أسهمالعامل الحجاجي "ما ... إلا " في هذا الملفوظ في حصر الإمكانات الحجاجية في أقوال يوسف ، وترتيب الحجج بحيث تسير نحو تحقيق النتيجة المرجوة وهي سد منافذ الاحتجاج لدى المخاطبين ، وجعل أذهانهم محصورة بين التدعيم الحجّة الذي يتيحه القصر وبين النتيجة المقصودة من طرف المتكلّم دون النظر إلى احتمالات أخرى ، وإقناعهم بعبادة الله الواحد.**

الآليات البلاغية للحجاج:

---

[1] ـ أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ص 27

[2] ـ عبد الهادي ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،1992 ص 520

[3] ـ الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ج12 ص 277

تحتل البلاغة مكانة جد مهمة في الحجاج فقد اهتم رواد البلاغة الجديدة أمثال بيرلمان وتيتكاه واعترفوا بالدور الفعّال للآليات البلاغية المختلفة كالاستعارة والتشبيه في العملية الحجاجية ومساهمتها البالغة في التأثير على المتلقي ، من هنا يتبين أن "معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية " [1] فالمرسِل يعمد إلى توظيف هذه الآليات والأساليب البلاغية بخصائصها وإمكانياتها الإقناعية ، فتكون بمثابة قوالب تنظم الحجج فتعينه على تقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه . ولمّا كان الخطاب القرآني غنيا بهذه الأشكال البلاغية فإن الآليات البلاغية للحجاج من أهم ما يمكن تطبيقه عليه :

أ ـ الاستعارة : تعدّ الاستعارة مركز الحجاج وأهم آلياته البلاغية نظرا لما تحققه من نتائج إيجابية في تقرب المعنى إلى ذهن القارئ وهذا ما عبّر عنه الباحث المغربي طه عبد الرحمن لما قال : " العلاقة الاستعارة هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج "[2]

وفيما يأتي تحليل لنماذج من الاستعارة الواردة في سورة يوسف بغية بيان حجاجيتها ودورها في الإقناع يقول تعالى : " فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِن وأَعْتَدَت لَهُنَّ مُتَّكَأ وَآتَتَ كُلّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينا وقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ " يوسف:31

ففي قول تعالى " سمعت بمكرهن:" استعارة مكنية حيث"استعير المكر للغيبة لشبهها له في الإخفاء "[3]

والمعنى " أي باغتيابهن لها ، وإنما سمي مكرا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره ، فكما أن الغيبة تذكر على سبيل الخفية ، أي باغتيابهن لها ، فكذلك المكر، والنسوة قد أردن من هذا القول المكر والحيلة ، بعد أن بلغهن خبر حسن يوسف، فأحببن أن يرينه، فقلن ذلك لأنهن أردن إغضاب امرأة

---

[1] ـ صابر الحباشة : التداولية والحجاج ، صفحات للدراسات والنشر ، ط1 ، 2008 ص 50

[2] ـ طه عبد الرحمن : اللسان الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ،ط1، 1998 ص 233

[3] ـ الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الحديث ، 1997 ج2 ص 48

العزيز لتعرض عليهن يوسف، فيفزن بمشاهدته "[4] والشاهد في هذه الاستعارة أن لفظ المكر استعير للغيبة ، فذلك دليل على كيد النسوة للتوصل إلى إقناع امرأة العزيز بعرضها يوسف – عليه السلام – عليهن ، فيرين جماله لأنهن أحببن ذلك ، وقد استمد هذا الملفوظ الاستعاري طاقته الإقناعية من خلال ما يربطه بالواقع ، فتشبيه الغيبة بالمكر من حيث اشتراكهما في الإخفاء وعدم الظهور يجعل وقعه الحجاجي على المتلقي أكبر وأشد . ويمكن تمثيل المسار الحجاجي لهذه الاستعارة باعتبارها الأقوى قولا وحجة في السلم الحجاجي بهذا الشكل الآتي :

ن اقتناع امرأة العزيز بأن يرى النسوة جمال يوسف

بلوغها خبر مكرهن وغيبتهن

ح " فلما سمعت بمكرهن

ج ـ <u>الكناية :</u>

إنّ المتكلم حين يلجأ إلى الكناية فإنه يزيد في المعنى من حجمه ، وإنما يزيد فيه من حيث إثباته وطريقة توكيده ، ولذلك فالكناية أبلغ من الحقيقة ، فليست " المزية في قولهم جم الرماد، أنه دلّ على قرى أكثر، بل المعنى أنك أثبت له القرى الكثير من وجه وهو أبلغ ، وأوجبته إيجاباً أشد وأدعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق "[1]

و من أمثلتها قوله تعالى : " اقْتُلُوا يُوسُفَ أو اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ " يوسف : 09

ورد هذا الملفوظ : " كناية عن خلوص محبته لهم ، ويكون المراد بخلو وجه أبيهم إقبالهم عليهم واصطفاؤهم بالمحبة ، ولا يتأتى هذا إلا بإقباله وجهه عليهم، وإقبال يعقوب عليه السلام ، بوجهه على أبنائه(إخوة يوسف) لازم لخلوص محبته لهم، وانشغاله بهم، فيتوصل عن طريق اللازم وهو الإقبال بالوجه عليهم إلى الملزوم وهو خلوص المحبة ، ففيه انتقال من اللازم

---

[4] ـ وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر ط2 ، 2003 ص 251

[1] ـ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، مكتبة القاهرة ، 1969 ص 54

إلى الملزوم ويكون الوجه هنا بمعناه المعروف، وهو مقيد بهذه الكناية التي يتوصل إليها عن طريق اللازم وهو الإقبال بالوجه إلى الملزوم وهو خلوص المحبة "[2]

ويمكن تمثيل هذه الكناية حجاجيا كما يلي:

مقدمة		نتيجة (ن)
(قتلوا يوسف)	←	(يخل لكم وجه أبيكم)

إن الملفوظ الكنائي أعلاه ذو وظيفة حجاجية حيث عمل المخاطِب ضمن ولخّص الحجج التي بنى عليها إخوة يوسف موقفهم للاقتناع بقتل أخيهم وتبرير ذلك الفعل.

صفوة القول : من خلال ما تقدم يظهر لنا جليا أن استجابة النصوص العربية عامة والخطاب القرآني خاصة واستيعابها لذات آليات التحليل التي تطرحها التداولية الغربية في نظريتي أفعال الكلام والحجاج وغيرهما ، فقد تمظهرت فيه الأفعال الكلامية بنوعيها المباشرة وغير لمباشرة ، ورأينا كيف أن هذا الخطاب فيه كثير من الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية والمنطقية ، وكذا توافر عناصر السياق المقامي فيه ، والتي تساعد كثيرا على فهم مقاصد ومرامي هذا الخطاب ،

---

[2] ـ عمر محمد عمر باحاذق :الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف ـ عليه السلام ـ دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة 1، 1992، ص11

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

أولا : العربية :

1 ــ أحمد المتوكل : اقتراحات في الفكر اللغوي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي : البحث اللساني السيميائي : أعمال الندوة الثالثة في البحث اللساني والسيميائي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط 1981

2 ــ آمنة بلعلى : الإقناع المنهج الأمثل للحوار والتواصل نماذج من القرآن والحديث ، مجلة التراث العربي، ع 89، السنة الثالثة والعشرون ، آذارـــ مارس ، 2003 ، دمشق .

3 ـ حافظ إسماعيلي علوي، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ،ج 1 ، ج 2 ، ج4.

4 ـ جار الله الزمخشري، الكشاف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2008 ، ج2

5 ـ حمودي صمود :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف ، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية .الآداب، منوبة، 1992 م

6 ــ الحواس مسعودي : البنية الحجاجة في القرآن ، مجلة اللغة والأدب ، ع12 ، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر ، الجزائر، ديسمبر، 1997

7 ـ أبو حيان الأندلسي الغرناطي : البحر المحيط في التفسير، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان 2010، ج 6

8 ـ خالد ميلاد : الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة ، جامعة منوبة ، ط1 ، 2001

9 ـ الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، دار التراث ، القاهرة

10ــ السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار ابن خلدون ، الاسكندرية ، مصر ،د.ت

11 ـ السيوطي (الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر): معترك الأقران ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 1988

12 – شكري المبخوت : إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2006

13 – فان ديك : علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة : سعيد حسن البحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، ط1 ، 2001 .

14 – صابر الحباشة: التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008.

15– الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الحديث ، ج2 ، 1997.

16 – طه عبد الرحمن : اللسان الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ،ط1، 1998 .

17 – قاسم حسام أحمد: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، دار الآفاق العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007 .

18 – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، مكتبة القاهرة ، .1969

19– عمر محمد عمر باحاذق :الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف – عليه السلام – دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة 1، 1992.

20 – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1984 ، ج 12 ، ج13 ،

21 – محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية - مصر ، 2006

22– ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ، مج 2 ، ط7 ، 1997 .

23 – ليلى كادة : المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي ، إشراف الدكتور بلقاسم دفة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة .

24 – عبد الهادي ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،1992

25 ـــ وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر للنشر ،دمشق ، ط10 ، 2009 ،

26 – يحي بعيطيش : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية ، إشراف عبد الله بوخلخال ، 2004 – 2005

27ـــ أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000.

ثانيا : الأجنبية :

28- J.L .Austin :Quand dire c'est faire ,introduction de G. Laue, Éd du Seuil , Paris , 1970

29 - Searl : Sens et expression ,études de théorie des actes de langage,ed ,Minuit, Paris 1982